

الأستاذة : فاطمة نصير المركز الجامعي بالوادي

المرجعيات الفلسفية للقضايا النقدية الحديثة — قضية الالتزام أنموذجاً —

ألف النقد أن يكون موضوعاً لإشكاليات تعيد النظر في وظائفه وعلاقاته الداخلية والخارجية بمختلف المجالات الاستمولوجية/المعرفية، ففي القرن التاسع عشر (19 م) تساءل نخبة من الأدباء والنقاد عن غائية الأدب وأهداف الكتابة، وبذلك فتحوا باباً لأسئلة كثيرة ظلت تمتد وتوسع حتى أضحت إشكالية من الإشكاليات النقدية الحديثة، لا سيما أنها تلامس هوية الأدب وجوهره وعلاقاته بالعلوم الإنسانية، وتساءلوا أيضاً عن الأسس الإستمولوجية التي تتيح التفكير في الأدب بصفته مجالا من المجالات الحيوية التي تتسم بالتماس الدائم والمستمر مع باقي الخطابات¹، الخطابات¹، وقد كان الالتزام أو قضية الالتزام هي العنوان الكبير الذي اختصر فيما بعد كل هذه الإشكاليات التي تبحث عن غاية الأدب وأهداف الأديب، وقد كان للفلسفة شرف صياغة قضية الالتزام، كما كان للنقد الأدبي الشرف الأكبر حينما تبنت هذه القضية المحورية وبلورها وشكلها و جعلها قابلة للنقاش والحوار بين الأدباء والنقاد على حدّ سواء .

في مطلع الخمسينات من القرن العشرين (20م) طرحت قضية الالتزام في أوساط المثقفين والأدباء العرب، ودار حولها جدل، خاصة في أوساط أولئك الذين تشبعوا بالفلسفة الماركسية والفلسفة الوجودية .

لقد ارتبطت فكرة الالتزام ارتباطا وثيقا « بتغير النظرة نحو مفهوم الأدب والفن وصلتهما بالحياة»²،

¹ — سهيل إدريس وإدوارد خراط ومحمود أمين العالم وآخرون : تحولات مفهوم الالتزام في الأدب العربي الحديث، تخطيط وإشراف، دار الفكر، سوريا ، دمشق ، ط 2003، 01، ص 07 .

² — أحمد طالب : الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة (في الفترة ما بين 1931-1976)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت ، ص 03.

كما نبت فكرة الالتزام في بادئ الأمر على أرضية العلم وصخب المعامل وويلات الظلم والحروب،

أثرت بشكل تلقائي وطبيعي على يد كولريدج* وماثيو آرنولد، حينما أعلننا أن الفن " نقد الحياة ¹، وبهذا أضفى الالتزام على « شعور الأديب والفنان إحساسا قويا بأهمية الكلمة ومدى مسؤوليتها، وبدورها الفعال الذي تقوم به داخل البناء الفني وفي تحريك المجتمع » ².

يرى الباحث المغربي الدكتور "علي أومليل"، أنه بالرغم من تمسك المثقفين العرب لفكرة الالتزام، إلا أن تبنيهم لها كان ينقصه شرطان لم يتوافرا في كتابنا الالتزاميين، وهذان الشرطان - كما أوردهما الدكتور "علي أومليل" - هما كالآتي ³:

الأول: إن الالتزام يفترض وجود الكاتب بمفهومه الحديث، وأن تمثله فئة واسعة من الكتاب استطاعت أن تنتزع السلطة الثقافية من المثقفين التقليديين، وأن تصبح مرجعا في المعارف والحقائق، فتكون لها قيادة الرأي العام.

الثاني: إن القول بالالتزام يفترض أن حرية التعبير لم تعد مشكلا، وإنما المشكل هو قضية بعينها يدافع عنها الكاتب، وهي موضوع الالتزام، وليس هذا هو وضع الكاتب العربي الذي مشكلته حرية التعبير: هل يستطيع أولا وقبل كل شيء الإفصاح عن أفكاره، بغض النظر عن موضوع هذه الأفكار؟.

* - صموئيل تيلور كولوريدج (1772-1834) يعدّه النقاد ألمع اسم في تاريخ النقد كله بعد أرسطو حتى القرن التاسع عشر فقد كان شاعرا وفيلسوبا وصاحب نظرية الخيال (ينظر: شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص 48).

¹ - أحمد طالب: الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ص 03.

² - علي أومليل: السلطة الثقافية والسلطة السياسية، ص 247.

³ - المرجع نفسه: ص 247.

هذان الشرطان أساسيان» لم يتوفرا قليلاً عند كتابنا دعاة الالتزام، فكانوا كمن يضع العربة أمام الحصان كما يقال¹.

كما أن مشكلة الالتزام في العالم العربي كانت مشكلة تلقي المفهوم واختلاف الأدباء والمفكرين في استيعابه خاصة قبل أن تترجم النصوص الأولى التي نظرت لهذه الفكرة لدى الفلاسفة الغربيين الذين كان لهم قصب السبق في بلورته وشرحه.

وفيما يأتي عرض لمفهوم الالتزام في سياقاته المتعددة : اللغوية والتاريخية والفلسفية والإيديولوجية ، والغاية من هذا الشرح النظري هو إمطة اللثام عن هذا المصطلح الذي تشوبه الضبابية والغموض ، ومحاولة فهمه فهماً يقوم على أسس علمية .

1- السياق اللغوي والأدبي لـ "الالتزام" :

وردت كلمة "الالتزام" في المعاجم اللغوية العربية القديمة ، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور قوله : « لزِم الشيء يلزمه لزماً ولزوماً وملازمة ولزماً و التزمه وألزمه إياه فالتزمه، ورجل لزمة : يلزم الشيء فلا يفارقه، ... والالتزام : الاعتناق »².

وأضاف صاحب المصباح المنير قوله في شرح مادة " لزِم " : « لزِم الشيء يلزم لزوماً ثبت ودام

...

ولازمت الغريم ملازمة و لزمه ألزمه أيضاً تعلقت به ولزمت به و التزمته اعتنقته فهو ملتزم »³.

«³.

وقد جاء في القرآن الكريم قوله عز وجل : { وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها

وأهلها }¹.

¹ - المرجع نفسه : ص 347 .

² - ابن منظور : لسان العرب، مج 05 ، ص 494-495.

³ - أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ: المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة ، د ط ، 2003 ،

والالتزام كما ورد في معجم مصطلحات الأدب « هو اعتبار الكاتب فنه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان لا مجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال»².

وهذا يكتسب فعل الكتابة غايات وأهداف قبلية، بحيث تصبح الكتابة عبارة عن قناة لتمير الأفكار والدفاع عن مبادئ، وليس غايتها التسلية والمتبعة التي تتسم بالآنية بحيث يزول أثرها لحظة الانتهاء من القراءة / التلقي.

2 — السياق التاريخي والفلسفي لمفهوم "الالتزام" :

بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1975) : وبالتحديد في الخمسينيات من القرن العشرين ، انقسم جمهور الكتاب والأدباء والمفكرين إلى قسمين كبيرين ، وكان الالتزام هو المعيار في التقسيم ، فيقال كاتب ملتزم وكاتب غير ملتزم وأديب غير ملتزم...، وكان المفهوم العام للالتزام عند البعض في تلك الفترة « هو تجنيد كل الطاقة الإنسانية لتحرير الوطن والمواطن والإنسان من القيود الاجتماعية

والسياسية، ومن القيم البرجوازية والتقاليد الرجعية الموروثة»³ ومن المعروف أنه في هذه الفترة التاريخية شهد التيار الاشتراكي والفكر الوجودي انتشارا وامتدادا واسعا فقد كان الكاتب الملتزم هو التعريف المتواضع عليه للكاتب الاشتراكي أو الوجودي أو على الأقل التقدمي .
أ — الالتزام من منظور الفلسفة الماركسية :

على الرغم من ثورة غير الماركسيين من كتاب وأدباء وفنانين ورجال سياسة واجتماع على فكرة الالتزام التي كانت من منظورهم تحد من حرية الإنسان في التعبير، و بما يكون الإبداع موجهًا ومقيداً ، لكن الانفتاح الثقافي والفكري لم يتضرر كثيرا بهذا الانقسام والصراع الذين حدث بين الأدباء الملتزمين والأدباء غير الملتزمين والفضل طبعاً يرجع إلى أن «غالبية الأدباء

¹ — سورة الفتح : آية : 26

² — مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب ، مطبعة دار القلم ، بيروت، لبنان، ط 1. 1974، ص 79.

³ — سهام هاشم:الالتزام عند الكتاب المصريين.مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة. ط 1. 1993، ص 47.

والفنانين الذين امتلكوا قوة التأثير في مجتمعهم نبتوا في حقل العمل والتعبير السياسي النضالي من أجل الحرية والاشتراكية»¹ ، أي أنه في تلك الفترة التاريخية لم تكن هناك فلسفة تنافس الفكر الاشتراكي ، بقوة باستثناء الفلسفة الوجودية التي كانت قد تبنت الفكرة نفسها رغم اختلاف في الرؤية بينهما، فكل فلسفة تنظر إلى القضية من زاوية معينة تخدم مبادئها ومشاريعها الإيديولوجية فإذا كانت " فكرة الالتزام" قد خرجت من عباءة الفكر الاشتراكي ، فقد ربطها " جان بول سارتر" بقضية الحرية والمسؤولية ، وهذا ما سيتم التطرق إليه لاحقا باستفاضة عند الكلام عن الالتزام لدى الوجوديين .

اهتم الماركسيون بتوضيح فكرة الالتزام التي أوضحت فيما بعد « نقطة ارتكاز للمفاهيم الماركسية في الجمال ، بين الفن وبين المجتمع مؤسسة ذلك على نظرية الانعكاس * (Réflexion)، وهي لا تفرق بين فن وآخر »² ، أي بإمكان الناثر أن يكون ملتزما وبإمكان الشاعر أن يكون ملتزماً والمصطلح ينطبق على باقي أصحاب الفنون الأخرى الذين هم أيضا تبنوا الفكرة كالرسامين والنحاتين والموسيقين ... الخ .

¹ - المرجع السابق : ص47.

* - نظرية الانعكاس : ظهرت في القرن التاسع عشر، عندما ظهر أدب جديد أصطلح عليه تسمية الأدب الطبيعي، فظهر هذا الأدب ظهرت محاولات عديدة تربط بين الأدب والحياة أو البيئة أو المحيط أو الواقع أو الظروف الاجتماعية ... الخ ، أما نظرية الانعكاس فقد استندت في تفسير الأدب نشأة وماهية ووظيفة إلى الفلسفة الواقعية المادية، هذه الفلسفة التي ترى أن الوجود الاجتماعي أسبق في الظهور من الوعي بل أن أشكال الوجود الاجتماعي هي التي تحدد أشكال الوعي... وهذا استطاعت نظرية الانعكاس أن تقدم مفاهيم جديدة تماما عن نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته... " (ينظر شكري عزيز ماطي : في نظرية الأدب ، ص69 وما بعدها).

² - رمضان الصباغ : الالتزام في الأدب والفن بين سارتر والماركسية ، ينظر الموقع

والالتزام كما ورد في معجم مصطلحات الأدب « هو اعتبار الكاتب فنه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان لا مجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال»².
وبهذا يكتسب فعل الكتابة غايات وأهداف قبلية، بحيث تصبح الكتابة عبارة عن قناة لتمرير الأفكار والدفاع عن مبادئ ، وليس غايتها التسلية والمتبعة التي تتسم بالآنية بحيث يزول أثرها لحظة الانتهاء من القراءة / التلقي.

2 — السياق التاريخي والفلسفي لمفهوم "الالتزام" :

بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1975) : وبالتحديد في الخمسينيات من القرن العشرين ، انقسم جمهور الكتاب والأدباء والمفكرين إلى قسمين كبيرين ، وكان الالتزام هو المعيار في التقسيم ، فيقال كاتب ملتزم وكاتب غير ملتزم وأديب غير ملتزم...، وكان المفهوم العام للالتزام عند البعض في تلك الفترة « هو تجنيد كل الطاقة الإنسانية لتحرير الوطن والمواطن والإنسان من القيود الاجتماعية

والسياسية، ومن القيم البرجوازية والتقاليد الرجعية الموروثة»³ ومن المعروف أنه في هذه الفترة التاريخية شهد التيار الاشتراكي والفكر الوجودي انتشارا وامتدادا واسعا فقد كان الكاتب الملتزم هو التعريف المتوضع عليه للكاتب الاشتراكي أو الوجودي أو على الأقل التقدمي .
أ — الالتزام من منظور الفلسفة الماركسية :

على الرغم من ثورة غير الماركسيين من كتاب وأدباء وفنانين ورجال سياسة واجتماع على فكرة الالتزام التي كانت من منظورهم تحد من حرية الإنسان في التعبير، و بها يكون الإبداع موجها ومقيدا ، لكن الانفتاح الثقافي والفكري لم يتضرر كثيرا بهذا الانقسام والصراع الذين حدث بين الأدباء الملتزمين والأدباء غير الملتزمين والفضل طبعاً يرجع إلى أن «غالبية الأدباء

¹ — سورة الفتح : آية: 26

² — مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب ، مطبعة دار القلم ، بيروت، لبنان، ط 1. 1974، ص 79.

³ — سهام هاشم:الالتزام عند الكتاب المصريين، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة. ط 1. 1993، ص 47.

والفنانين الذين امتلكوا قوة التأثير في مجتمعهم نبتوا في حقل العمل والتعبير السياسي النضالي من أجل الحرية والاشتراكية»¹ ، أي أنه في تلك الفترة التاريخية لم تكن هناك فلسفة تنافس الفكر الاشتراكي ، بقوة باستثناء الفلسفة الوجودية التي كانت قد تبنت الفكرة نفسها رغم اختلاف في الرؤية بينهما، فكل فلسفة تنظر إلى القضية من زاوية معينة تخدم مبادئها ومشاريعها الإيديولوجية فإذا كانت " فكرة الالتزام" قد خرجت من عباءة الفكر الاشتراكي ، فقد ربطها " جان بول سارتر" بقضية الحرية والمسؤولية ، وهذا ما سيتم التطرق إليه لاحقاً باستفاضة عند الكلام عن الالتزام لدى الوجوديين .

اهتم الماركسيون بتوضيح فكرة الالتزام التي أوضحت فيما بعد « نقطة ارتكاز للمفاهيم الماركسية في الجمال ، بين الفن وبين المجتمع مؤسسة ذلك على نظرية الانعكاس * (Réflexion)، وهي لا تفرق بين فن وآخر »² ، أي بإمكان الناثر أن يكون ملتزماً وبإمكان الشاعر أن يكون ملتزماً والمصطلح ينطبق على باقي أصحاب الفنون الأخرى الذين هم أيضاً تبنوا الفكرة كالرسامين والنحاتين والموسيقيين ... الخ .

¹ - المرجع السابق : ص 47.

* - نظرية الانعكاس : ظهرت في القرن التاسع عشر، عندما ظهر أدب جديد أصطلح عليه تسمية الأدب الطبيعي، فبظهور هذا الأدب ظهرت محاولات عديدة تربط بين الأدب والحياة أو البيئة أو المحيط أو الواقع أو الظروف الاجتماعية... الخ ، أما نظرية الانعكاس فقد استندت في تفسير الأدب نشأة وماهية ووظيفة إلى الفلسفة الواقعية المادية، هذه الفلسفة التي ترى أن الوجود الاجتماعي أسبق في الظهور من الوعي بل أن أشكال الوجود الاجتماعي هي التي تحدد أشكال الوعي... وهذا استطاعت نظرية الانعكاس أن تقدم مفاهيم جديدة تماماً عن نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته..." (ينظر شكري عزيز ماطي : في نظرية الأدب ، ص 69 وما بعدها).

² - رمضان الصباغ : الالتزام في الأدب والفن بين سارتر والماركسية ، ينظر الموقع

الإلكتروني : www.ahewar.org ، تاريخ نشر المقال ، 01/ 08 / 2006 .

يرى الماركسيون وجوب وقوف الكاتب «... في صف التقدم، أو حسب التعبير الماركسي في صف الطبقة الصاعدة والفنان الحقيقي هو الذي يدفع المجتمع إلى التغيير ..»¹ ، وبما أن الفن في متناول الجميع ، وفي الوقت ذاته يعدّ وسيلة للسيطرة على الواقع ، إذاً فهو يلعب دوراً هاماً في تطور الإنسان والمجتمعات .

إن الأديب / الفنان من منظور الاشتراكيين جزء لا يتجزأ من طبقة اجتماعية معينة، أي أنه مثقف عضوي — حسب تعبير غرامشي — لذلك فهو يتأثر بمفهوم الطبقة التي ينتمي إليها ، وبما أنه كذلك فهو مطالب بالتعبير عما تعانيه طبقته ، وبهذا يكون قد أدى واجب الالتزام تجاه قضايا طبقته الاجتماعية.

من أهم الأمور التي ركّز عليها الماركسيون في طرحهم لفكرة الالتزام هي عدم تفريقهم بين كل الفنون ، فكلها سواء وكلها جزء لا يتجزأ من البنية الفوقية للمجتمع ، والتي من خلالها يتم التغيير.

ب- الالتزام من منظور الفلسفة الوجودية :

كانت فكرة الالتزام من أبرز الأفكار التي ارتكزت عليها الفلسفة الوجودية ودافعت عنها فقد دعا "جان بول سارتر" بوضوح إلى فكرة الالتزام ، وربطها ربطاً وثيقاً بقضية المسؤولية والحرية التي طالما أرقّت الفلاسفة والمفكرين منذ القدم .

يرى "جان بول سارتر" « أن كل إنسان مسؤول إزاء الإنسانية ، انطلاقاً من وظيفته ... فبالنسبة لمسؤولية الكاتب هي مسؤولية جسيمة تتمثل في محاربة كل لون من ألوان الاضطهاد عن طريق إثارة القضية أو مجرد التنويه إليها ... »² ، فمثلاً لا يمكننا أن نعرف عن اضطهاد الفلسطينيين — خاصة المحاصرين في قطاع غزة — شيئاً إذا لم ينوه إلى ذلك كاتب أو أديب أو إعلامي ، ولا يمكننا كذلك أن نعلم شيئاً عما يحدث في السجون العالمية (غوانتانامو وأبو غريب) من

¹ - المرجع نفسه .

² - أحمد طالب : الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة ، ص 16 .

انتهاك للحرمان والإنسانية، إذا لم يكن هناك صحفي أو كاتب أو إعلامي يشعر بمسؤولية التبليغ من أجل إحداث التغيير،... فالأديب أو

المفكر بصفة عامة مرتبط بعالمه بحيث لا يمكنه الانفصال عنه...¹، لقد ناضل "سارتر" من أجل تجسيد "فكرة الالتزام" في الأدب، وقد كان يؤمن بأن «الكلمات» مسدسات عامرة بقذائفها " فإذا تكلم الكاتب فإنما يصوب قذائفه في مكنته الصمت. ولكنه إذا اختار أن يصوب فيجب أن يكون له تصويب رجل يرمي إلى أهداف لا يصوب طفل على سبيل الصدفة ومن دون غرض سوى السرور بسماع الدوي »².

يعتبر "سارتر" أن الكتاب هم وحدهم الذين يستطيعون الخضوع لمبدأ الالتزام دون الشعراء وسائر الفنانين أو الموسيقيين والنحاتين، وهو بهذا يشير إلى إشكالية موقف اللغة من المسؤولية³، ويرى أن الشعر والفن والنحت والموسيقى هي « وسائل عاجزة عن قيادة المتلقي إلى هدف الفنان فعلى الرغم من سعي بعض الفنانين إلى توضيح الفكرة المنشودة، لكنهم لا يستطيعون الإفصاح عنها بالقدر المتاح للكاتب... »⁴.

اتخذ "سارتر" من قضية الالتزام وسيلة لإثبات الحرية وتبريرها، ويرى أن التزامه لموقف معين دون غيره من المواقف هو الذي يحقق له الحرية، ويساعده على تحمّل المسؤولية وتجشم متاعبها : « وهنا يبرز مفهوم الالتزام مختلفا تماما عن مفهوم الالتزام. لأن اختيار الشخص لهذا الموقف المعين تحررا من الإلزام الخارجي بفعل الظروف والمعطيات الخارجية »⁵.

¹ - المرجع السابق : ص 16 .

² - جان بول سارتر : ما الأدب ؟ تر : محمد غنيمي هلال ، ص 16 .

³ - أحمد طالب : الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ص 17.

⁴ - المرجع نفسه : ص 17.

⁵ - سهام هاشم : الالتزام عند الكتاب المصريين ، ص 44 .

ويذهب "سارتر" بعيداً إلى إثبات حرية الإنسان وعدم تقيده ، ويرى أن قول الإنسان (أنا موجود) يترادف مع قوله (أنا حر)¹ . وبهذا يكون "سارتر" قد أثبت حرية الإنسان وجعلها ملازمة لوجوده ،

وعليه نستطيع القول أن الالتزام من منظور "سارتر" هو اتخاذ الكاتب رأياً في الأحداث التي يعيشها « شريطة احتفاظه بحريته الفردية في الوقت نفسه أي أن التزامه تحيطه أخلاقية تمتد حتى تصل إلى جميع المسؤوليات البشرية عموماً »² .

مما تقدم يتضح أن الالتزام وجودياً هو استعداد ذاتي من الأديب أو المفكر لمشاركة الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية ، والوقوف إلى جانبهم بحزم وقوة إلى حد إنكار الذات في سبيل القضية التي التزم بها، « ويقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها ، وهذا الموقف يقتضي صراحةً وضوحاً وإخلاصاً ، وصدقاً ، واستعداداً من المفكر لأن يحافظ على التزامه دائماً، ويتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام »³ .

أشار "سارتر" إلى أهمية الالتزام للأديب / المفكر فقال : « مما لا ريب فيه أن الأثر المكتوب واقعة اجتماعية ، ولا بد أن يكون الكاتب مقتنعاً به عميق الاقتناع ، حتى قبل أن يتناول القلم ، إن عليه بالفعل أن يشعر بمدى مسؤوليته، وهو مسؤول عن كل شيء عن الحروب الخاسرة أو الراجحة عن التمرد والقمع، إنه متواطئ مع المضطهدين إذا لم يكن الحليف الطبيعي للمضطهدين »⁴ ، كما

¹ - المرجع السابق : ص 45.

² - رجاء عيد: فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 1986، ص 147 .

³ - أحمد أبو حاقه : الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، د ط ، 1974 ، ص 14.

⁴ - جان بول سارتر: الأدب الملتزم، تر: جورج طرابيشي، منشورات الأدب، بيروت، لبنان، ط 2، 1967، ص

أشار "سارتر" إلى الدور الريادي الذي يلعبه الأدب في تحديد مصائر المجتمعات، فاعتبر الأدب مسؤولاً عن الحرية، وعن تطور الشعوب وتحلفها، وبما أن الأديب ابن بيئته والناطق الرسمي عن همومها وآلامها وكلمته هي بمثابة السلاح الفتاك، فعليه إذن أن يحدد الأهداف جيداً فـ «... الكاتب بماهيته وسيط والتزامه هو التوسط»¹.

لقد أتاح الفكر الوجودي لـ " قضية الالتزام فرصة الانتشار في أوساط المثقفين العرب، خاصة بعدما ترجمت مقالات ومؤلفات "سارتر" إلى اللغة العربية ، ولقد كان الدكتور " سهيل إدريس" من أبرز الأدباء الذين عملوا على نشر فكرة الالتزام من خلال ترجمته لعدة مقالات وقصص ومسرحيات لرائد الوجودية الفرنسي " جان بول سارتر فقد ترجم له مقالاته ومسرحياته ونشرها تباعاً في " مجلة الآداب" التي تولى رئاسة تحريرها منذ تأسيسه لها في العام 1953.

كما قام كل من "جورج طرابيشي" و"محمد غنيمي هلال" بترجمة النص الأول الذي قدمه "جان بول سارتر" لشرح فلسفة الالتزام، فقدّمه الأول في كتاب تحت عنوان "الأدب الملتزم" أما الثاني فنقله في كتاب وسمه بـ "ما الأدب؟".

وبهذه الجهود الكبيرة التي قام بها النقاد والكتاب العرب في ترجمة النصوص الأولى للالتزام إلى اللغة العربية أصبحت الفكرة جلية ولا غبار عليها أمام جلّ الكتاب الأدباء والمثقفين أكثر من ذي قبل ، رغم تعرّضهم لعوائق كثيرة عندما شرعوا في تحقيقها .

ج — الفرق بين الالتزام الاشتراكي / الماركسي والالتزام الوجودي :
بعد إلقاء نظرة عن الالتزام الماركسي والالتزام الوجودي يتّضح أن الحرية هي التي تقف وراء تشكيل وصياغة مفهوم الالتزام « فالفلسفة الاشتراكية تعتبر الفرد تحت سيطرة الواقع ومنه يأخذ أحاسيسه ومعتقداته وأفكاره، وأنه يتغير تبعاً لما يطرأ على هذا الواقع من تعبير يساهم هو في قدر منه »² ، أما في الفلسفة الوجودية فالأمر عكس ذلك تماماً إذ أنّها « تجعل نقطة بدايتها الذات

¹ — المرجع السابق : ص 46.

² — رجاء عبيد : فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ص 155 .

و إن تصرف هذه الذات تصرف ذاتي تكيف مشيئتها بإرادتها الخاصة»¹. كما اختلفوا أيضا في فهم مفهوم الحرية « فالاشتراكية تؤمن بأن الحرية قضية اجتماعية لن تتم إلا في تقويض الأنظمة الرأسمالية والبرجوازية بينما يراها "سارتر" مشكلة فردانية لا صلة لها بأي وضع اقتصادي والفرد يملك حرية التصرف بمجرد اختيار الموقف»². نتيجة اختلاف الماركسيين والوجوديين في النظرة نحو الفرد والمجتمع، وعدم الالتقاء في المبادئ والأهداف والمنطلقات، اختلفت أيضا النظرة لماهية الالتزام ومعناه، فـ"سارتر" يراها فكرة فردية انطلاقا من أن كل إنسان حر بمفرده وبذاته، أما الاشتراكيون فيبررون أن الالتزام قضية جمعية وحمية وإلزامية.

وبهذا يكون لفكرة الالتزام منطلقان وهما :

المنطلق الإيديولوجي بالنسبة للماركسيين الذين كانوا يحددون النص الأدبي الملتزم من غير الملتزم من خلال الإيديولوجيا التي قام عليها، وبغياب الإيديولوجيا الماركسية منذ سقوط المعسكر الشرقي / الإتحاد السوفياتي، تقهقر الأدب الملتزم عند دعاة الماركسية، لأنه كان مشدودا بحبل متين بهذه الإيديولوجيا التي سقطت وانهمزت، فالأدب الملتزم عندهم كان موجودا بوجود الماركسية و تقهقر بانفراط عقدها .

أما بالنسبة للوجوديين فإن منطلقهم لم يكن منطلقا إيديولوجيا، بل كان فلسفيا، فالالتزام الذي تكون منطقاته الأولى إيديولوجية، ومذهبية التزام يرفضه "سارتر" جملة وتفصيلا³، كما أن الأديب من منظوره يكتب ليعبر عن هموم الإنسانية جمعاء وليس ليعبر عن هموم طبقة أو مجتمعه فقط .

¹ - المرجع السابق : ص 155.

² - المرجع نفسه : ص 155.

³ - إسماعيل المهدي : فلسفة الالتزام عند سارتر، مجلة الفكر المعاصر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،

انطلاقاً من هذه الفروقات كانت الهوة واسعة بين فهم الالتزام لدى الماركسية ولدى الوجوديين .
عموماً فإنّ كلّ من الفلسفة الوجودية و الفلسفة الماركسية كانتا حجر الزاوية في إثارة قضية الالتزام في الأوساط الأدبية والنقدية ، ومن ثمّ كانت هذه القضية التي تبحث عن ماهية الأدب وغاية الكتابة وأهداف الأديب بمثابة حلقة وصل بين مجالين مهمين وبارزين في حقل العلوم الإنسانية ألا وهما الأدب والفلسفة ، كما استطاعت قضية الالتزام أن تقدّم نموذجاً للتداخل المعرفي / الاستمولوجي بين حقول العلوم الإنسانية في العصر الحديث ، خاصّة بعد أن اقتحم الأدب والنقد جلّ المجالات المعرفية وذلك بغية الاستفادة من الآليات والوسائل الحديثة، وتشكيل رؤية جديدة تكون كفيّلة بمقاربة فضايا نقدية حديثة ومعاصرة .